مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

محمل وصُرة السلطان علي دينار إلى الحرمين الشريفين 1900-1916م

Mahmal and the rag "Sora" of Sultan Ali dinar to the Two Holy Mosques Mecca and Medina 1900-1916 AD

محمد آدم عبد الرحمن حامد

استاذ مساعد – جامعة الخرطوم

كلية الآداب – قسم التاريخ

Muhammad Adam Abdul Rahman Hamed

Assistant Professor – University of Khartoum

Faculty of Arts – Department of History

hamadabi.moh@gmail.com

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مستخلص:

يعتبر سلاطين مملكة الفور الإسلامية 1640–1916م التي قامت في إقليم دارفور غرب السودان ، من الحكام الذين كانوا يقومون بكسوة الكعبة المشرفة وإرسال الهدايا لفقراء مكة والمدينة كل موسم حج، هذا التقليد كان متبعاً منذ وقت مبكر من نشأة سلطنة الفور وواظب عليه عدد من السلاطين، إلا أنه كان يتوقف لفترات أحياناً بسبب الأوضاع السياسية التي يمر بها السودان تارة وتارة بسبب الأحوال الأمنية بحيث يتعرض المحمل للنهب؛ غير أن السلطان علي دينار 1900–1916م، يعتبر الأكثر شهرة بين هؤلاء السلاطين، فقد لعب هذا السلطان دوراً بارزاً في خدمة بيت الله الحرام وحجاجه وحافظ على استمرار إرسال المحمل والصُرة إلى الكعبة المشرفة حتى وفاته. تقوم هذه الورقة على حُجة رئيسة هي: إثبات دور السلطان علي دينار في خدمة الإسلام والمسلمين وكسوة الكعبة المشرفة، وتوثق لتاريخ السلطان علي دينار وعلاقاته مع شبه الجزيرة العربية وولائه لها.

كلمات مفتاحية: السلطان علي دينار، الكعبة المشرفة، المحمل، الصُرة، سلطنة الفور، الإسلام، المسلمين.

Abstract:

The Sultans of the Islamic Kingdom of FŪr 1640-1916 AD, which was established in the DarfŪr region in western Sudan, are among the rulers who used to dress the Holy Kaaba and send gifts to the poor of Mecca and Medina every pilgrim season. However, it used to stop for periods sometimes because of the political situation that Sudan is going through, sometimes because of the security conditions, so that the royal gift caravan or "Mahmal" is exposed to looting. However, Sultan Ali Dinar 1900-1916 AD is considered the most famous among these sultans, as this sultan played a prominent role in serving the Sacred House of Allah and his pilgrims, and he maintained the continuation of sending the Mahmal and the rag "Sora" to the Holy Kaaba until his death. This paper is based on a main argument: proving the role of Sultan Ali Dinar in serving Islam and Muslims and cladding

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

the Holy Kaaba, and documenting the history of Sultan Ali Dinar and his relations with the Arabian Peninsula and his loyalty to it.

Study Questions: This study attempts to answer some important questions such as: Did the Für sultans really dressed the Kaaba? What is the role of Sultan Ali Dinar in dressing the holy Kaaba, serving its pilgrims, and serving the poor? And how did Sultan Ali Dinar overcome the obstacles he faced in sending the "Mahmal"?

The significance of the study: The significance of the study comes from the importance of the subject, as it relates to the history of one of the greatest sultans who ruled the Sultanate of Darfür, who played a great role in dressing the holy Kaaba and helping the poor.

Study Methodology: The study followed the analytical historical research approach, which is based on collecting information from its primary and secondary sources and analyzing it. It is a study that relied primarily on official documents.

Keywords: Sultan Ali Dinar, the Holy Kaaba, Al-Mahmal, Surra, Sultanate of Für, Islam, Muslims.

مقدمة:

تعود الصلات بين بلاد السودان ومنطقة شبه الجزيرة العربية إلى أزمان بعيدة بكثير إذا ما قورنت بتاريخ فترة الدراسة، غير أن الطابع الذي ميز هذه الصلات في أغلب الأحيان هو الطابع الديني وتحديداً عندما دخل الإسلام إلى السودان وتقبله السودانيين بصورة كبيرة، بل وأصبحوا من أشد المدافعين عنه والمتمسكين به، فتعلقت قلوبهم بمهد هذا الدين الإسلامي وظلت أشواقهم إلى الأماكن المقدسة هي التي تحكم علاقتهم ببلاد الحرمين الشريفين إلى اليوم، لذلك لا يعد ما قام به السلطان علي دينار أمراً مستغرباً فهو إرث الجدود يشب عليه الصبي حتي يشيب عليه.

كان السلطان علي دينار من السلاطين الأقوياء الذين حكموا سلطنة دارفور الإسلامية، وكان شديد الولع بالإسلام، لذلك نجده تمسك بشكل كبير باستمرار إرسال المحمل والصُرة إلى الكعبة المشرفة وفقراء مكة والمدينة خدمة منه

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

للإسلام؛ على الرغم من الصعوبات التي واجهته في ذلك، والتي تمثلت في حكم الإنجليز للسودان آنذاك، الذين كانوا يتعاملون مع المحمل على أنه ذو طبيعية استخباراتية تارةً وأخرى يستخدمونه كوسيلة ضغط على السلطان علي دينار لتنفيذ بعض أجندتهم الخاصة؛ إلا أن السلطان علي دينار استطاع التخلص من كل هذه العقبات وواصل في إرسال المحمل.

أسئلة الدراسة: تحاول هذه الدراسة الإجابة على بعض الأسئلة المهمة مثل:

1-هل بالفعل كان سلاطين الفور يكسون الكعبة؟

2-ما هو دور السلطان علي دينار في كسوة الكعبة المشرفة وخدمة حجاجها وخدمة الفقراء؟

3-وكيف تغلب السلطان علي دينار على العقبات التي كانت تواجهه في إرسال المحمل؟

أهمية الدراسة: تأتي أهمية الدراسة من أهمية الموضوع فهو يتعلق بتاريخ أحد أعظم السلاطين الذين حكموا سلطنة دارفور والذي كان يقوم بدور عظيم هو كسوة الكعبة ومساعدة والفقراء.

منهج الدراسة: اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي التحليلي الذي يقوم على جمع المعلومات من مصادرها الأولية والثانوية وتحليليها، وهي دراسة اعتمدت في المقام الأول على الوثائق الرسمية.

نبذة عن السلطان علي دينار:

هو علي دينار بن زكريا حفيد السلطان محمد الفضل 1779-1839م، ولد في الفاشر عام 1860م، بدأ حياته السياسية والإدارية والياً على مقاطعة "أرقد مرارين" جنوب شرق الفاشر، ثم خلف أبو الخيرات ابن السلطان بكر على زعامة الفور عام 1889م، وبعد عامين من توليه خضع لسيادة الدولة المهدية، وفي عام 1897م، أجبره الأمير محمود أحمد على الرحيل إلى أم درمان، ليكون تحت رقابة الخليفة اللصيقة والمباشرة، وظل حبيس هذا الواقع المهين إلى أن

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

انسحب من معركة كرري عام 1898م، فرجع إلى دارفور وأعاد ملك أجداده، واعترفت به الحكومة الإنجليزية سلطاناً عام 1900م، واستمرت فترة حكمه إلى عام 1916م.[i]

تعتبر سلطنة الفور من السلطنات الشهيرة التي قامت في السودان، ويمتد شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر وغرباً إلى نهر السنغال والمحيط الأطلسي، وتأسست هذه السلطنة في القرن الخامس عشر الميلادي.[ii]

الوصول إلى الحُكم:

بدأ أمر علي دينار بوجوده في معسكر أبي الخيرات وهو أحد أبناء السلاطين، ساعد هذا المعسكر بصورة كبيرة في إكساب علي دينار خبرة في ممارسة الحياة العسكرية والسياسية والتعامل معها بكفاءةٍ عاليةٍ مما ساعده في بناء وتطوير مقدراته؛ غير أنه دخل في صراع مع أبي الخيرات فتمكن علي دينار من قتله والسيطرة على القيادة فأطلق على نفسه لقب سلطان.[iii] ومن هنا تبدأ قصة السلطان علي دينار الشهير.

المحمل والصُرة:

الصُرة والكسوة والمحمل هي مصطلحات متداولة في أدبيات الحج ومتداخلة مع بعضها البعض، لأن المحمل يعني ضمناً كسوة الكعبة وصرة العاملين فيها إلى أرض الحجاز، ونستخدم الكسوة أحياناً كمصطلح جامع لكسوة الكعبة المُطهرة وصُرة أم القرى ويثرب، إذاً التعامل مع هذه المصطلحات يحتاج إلى توطين دقيق في الإطار التاريخي الذي نتعامل معه، دون تعميم يُفضي إلى خلط في الفهم وينتُج عنه إسقاط وقائع الحاضر، بقصدٍ أو دون قصد في مجريات الحدث التاريخي.[iv]

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تعريف مصطلحا الصُرة والمحمل:

أولاً الصُرة:

تعني الصرة في اللغة، الكيس أو الخرقة التي توضع فيها النقود، وقد اكتسبت هذه الكلمة ثراءً كبيراً على مر القرون من خلال قوافل الحجيج ومواكب المحمل الشريف وحقائب الهدايا، ولكن الصرة هنا تعني كسوة الكعبة المشرفة.[v]

يُطلق اسم صُرة على النقود والأشياء التي أُرسلت لسنين طويلة إلى أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان المُقتدر بالله العباسي هو أول من أرسل الصُرة إلى أهالي مكة والمدينة.[vi]

ثانياً المحمل:

أما اسم المحمل فيطلق على الناقة التي حملت متاع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأول من أرسل المحمل هم الأمويون.[vii] وهنا المحمل يعني العِير التي تحمل كسوة الكعبة المشرفة ومستلزماتها، والطابور المرافق له من العِير الأخرى التي كانت تحمل الماء وأمتعة الحجاج، وقد درجة العادة أن يكون المحمل تحت إمرة أمير الحج، يرافقه حرس المحمل، وأمناء الصُرة، وفيالق الحجيج المصاحبة لهم، وعند خروج المحمل كانت تُدق الطبول، وتُضرب الزمور، وتُرفع البيارق والأعلام، ويخرج كبار الأمراء والجند والعلماء وعِلية القوم والأهالي لتوديع أمير الحج والحجاج ومحملهم الميمون.[viii]

لذا يجب علينا التفريق بين المحمل والكسوة، فالكسوة هي الهدية السلطانية التي كانت تحمل بداخل المحمل، وهي مصنوعة من حرير مُشجر ومُوشى بالذهب ومزينة بآيات قرآنية وتوضع على ظهر بعيِر أصهب وداخل هودج مزركش يُعرف بالمحمل.[ix]

المحمل والصُرة الدارفورية إلى بلاد الحرمين:

كانت سلطنة الفور مستقلة من دول الأرض كلها لا تدفع جزية لأحد ما عدا الحرمين الشريفين، حيث كانت تقدم لها محملاً وصُرة كل سنة، فكان موكب المحمل يأتي إلى مصر ومعه الريش والسن والصمغ وغيرها من خيرا ت البلاد

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فيبيعها ويتم بنقودها الصُرة.[x] إن الصلات الحضارية بين السودان عموماً وبلاد الحجاز صلات قديمة مرتبطة في الغالب بالطابع الديني الإسلامي، وقد لعبت الحرمين دورا رئيسا في هذه العلاقات بسبب الحج الذي يحتل مكانةً خاصةً في قلوب مسلمي بلاد السودان.[xi]

كان أول من كسا الكعبة هو: تُبع أبو كرب أسعد، الملك العربي اليمني الحميري، فقد رأى في نومه أنه يكسو الكعبة، ولذا حين مرَ بمكة راجعا من غزوته ليثرب سنة 220 قبل الهجرة، حقق رؤياه وكسا الكعبة وجعل لها باباً ومفتاحاً، وتبعه خلفاؤه فكانوا يكسونها بالجلد والقباطي (وهو قماش مصري) زمناً طويلاً، ثم أخذ الناس يقدمون لها هدايا من الكساوي المختلفة، فيلبسونها على بعضها، فكان إذا بلي ثوب وضع عليه ثوب آخر، حتى جاء قصي ابن كلاب فوضع على القبائل مبلغاً من المال لكسوتها سنوياً، واستمر أبنائه بعده على هذا التقليد.[xii]

أما في عهد الإسلام فقد قام الخليفة عمر بن الخطاب بكسوة الكعبة وتبعه الخليفة عثمان بن عفان، وعبد الله بن الزبير، وكساها معاوية بن أبي سفيان بالديباج مرتين في يوم عاشوراء، ثم كساها الخليفة الأموي عبد الله بن مروان. واصل الحكام المسلمين في كسوة الكعبة تبعهم في ذلك خلفهم من الملوك في العصر العباسي والفاطمي حتى أصبح كساء الكعبة تقليداً متبعاً في كل الخلافات الإسلامية.[xiii]

كانت سلطنة دارفور تُولي اهتماماً خاصاً بالكعبة المشرفة لذا حرص معظم سلاطينها على إرسال المحمل الشريف سنوياً للكعبة، فقد كان هذا الأمر شبه التزام أو حق أدبي تجاه بيت الله الحرام، توجد في دار الوثائق القومية بالسودان، الكثير من المكاتبات بين سلاطين الفور وأمراء الحجاز تدور في مجملها حول المحمل، حيث نجد رسالة من السلطان إبراهيم قرض 1873– 1874م إلى الشريف عبدالله شريف مكة ورد فيها: " من أمير دولة الفور السلطان إبراهيم إلى حضرة الشريف عبدالله ... واصل إليكم الحاج إدريس وصحبته ثلاث ألف ريال يصل حضرتكم وما بقي يصير بتصريفه".[xiv] وفي رسالةٍ أخرى، " لقد أرسلنا الحاج إدريس صحبة المذكورين ست أغوات – متوجه إلى الحرمين معه صُرة لمكة وأغوات لخدمة البيت، وصُرة لمدينة الرسول ومعها أغوات لخدمة الحرم الشريف".[xv]

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هاتان الوثيقتان توضحان بشكل جلي دور دارفور في خدمة الحرمين الشريفين، بحيث لم يقتصر دور سلاطين الفور على مد الحجاز بالمال فقط بل كانوا يرسلون الرجال لخدمة بيت الله الحرام، وقد لاحظنا ورود كلمة أغوات في الوثيقة الأخيرة، والأغوات هم أهم المجموعات التي تعمل في الحرم النبوي، وتتمثل أهم وظائفهم في صيانة المسجد وإغلاق الأبواب وإنزال القناديل وغسلها وإشعالها وتثبيتها في مواضعها والتجول بها ليلا بعد صلاة العشاء، إضافة إلى فتح أبواب المسجد النبوي والروضة المطهرة والحجرة الشريفة كل يوم جمعة.[xvi]

بعد أن اعترفت الإدارة البريطانية في السودان بسلطان علي دينار على الفور، شرع الأخير في مراسلة الإدارة الإنجليزية لتسهيل إجراءات المحمل، فأرسل السلطان علي دينار خطاباً إلى سلاطين باشا مفتش عام السودان يطلب منه البت في ثلاث قضايا مهمة تتمثل في رسم حدود سلطنة دارفور، ومساعدته الجيش الحكومي مادياً، والسماح له بإرسال المحمل الشريف إلى مكة المكرمة كما كان يفعل أسلافه سنويا.[xvii] رد عليه حاكم عام السودان ونجت باشا بخطاب صادر في 1 مايو 1901م، أقر فيه بتعيين السلطان علي دينار حاكماً عاماً على دارفور شريطة أن يلتزم بقرارات الحكومة وسيادتها المبسوطة على كل أنحاء السودان، وأن يدفع جزية سنوية تقدر بخمسمائة جنيه استرليني، أما قضية المحمل فقد ترك له الخيرة من أمره، تعللاً بأن الطريق سيظل مفتوحاً بين السودان والحجاز، فعلى السلطان علي دينار أن يتصرف ويتدبر أمره بما يراه مناسباً في هذا الشأن.[xviii] يبدو أن السلطان علي دينار قد استغل إعلان حاكم عام السودان ونجت باشا (1861-1953م)، الذي خاطب فيه خاصة أهل السودان وعامتهم في 28 فبراير 1900م،يحسهم فيه على تشييد المساجد، وإقامة شعائر دينهم المقدسة، وتسهيل طريق الحج إلى بيت الله الحرام.[xix] بعد ذلك شرع السلطان علي دينار في مراسلة شريف مكة فأرسل في عام 1321هـ/ 1902م خطاباً مبدياً فيه رغبة أكيدة في زيارة الأراضي المقدسة، وأرسل وفداً إلى الحجاز وبعث برفقة ذلك الوفد الدارفوري السلطاني بألفي ريال مجيدي، ألف منها يوزع في مكة على الفقراء وخدم البيت الحرام، والألف الآخر يقسم في المدينة على نفس الأساس.[xx]

كانت الظروف التي يُرسِل فيها السلطان علي دينار المحمل مُعقدة إذا ما قورنت بوضع السودان آنذاك، فقد كان السودان تحت الحكم البريطاني ويُعد من إحدى المستعمرات المهمة بالنسبة لبريطانيا، لذلك اتبعت الإدارة البريطانية نظاماً إدارياً غاية في الصرامة، فكانت تنظر إلى السلطان علي دينار بعين الريبة والشك على الرغم من تعاطفها مع

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مسألة إرسال المحمل الشريف، غير أنه كانت بريطانيا تتبع سياسة لا تخلو من الشك، ومع ذلك لم يتأخر السلطان علي دينار منذ توليه الحكم في إرسال المحمل الشريف إلا لُماماً. فقد كان يعين كل عام أميراً على المحمل ويرسل في طلب السماح بأرسال المحمل من الإدارة البريطانية في السودان، ففي عام 1321هـ/1903م أرسل خطاباً إلى سلاطين باشا يطلب فيه تسهيل إجراءات المحمل: نصه كالأتي:

" أُعلن مكارمكم أفندم أنني قد وجهت الأفكار بإرسال الوقف للحرمين الشريفين، وقد تجهز الآن قادماً لأرض الحجاز صحبة المُعين من ملوكنا المكرم صالح علي ومن معه من الرجال قادماً، فغاية الأمل حال وصوله أم درمان لم يتأخر غير راحة يوم أو يومين فحالاً تقوموا بواجبات سفره بكافة من معه وتحرروا له الرواح لمديرون المحطات بربر ولغاية سواكن بسرعة قدومهم وشمول نظر سعادتكم نحوهم ..... وبعد عودتهم يفادونا بهم ".[xxi] وفي عام 1904م، أرسل السلطان علي دينار رسالة إلى سلاطين باشا مفادها:

" وزيادة سرورنا وحبورنا قيامكم في أمر المحمل النبوي الذي بُعث من طرفنا للحرمين الشريفين، مكة المشرفة والمدينة المنورة، ومقابلتكم بالإكرام والإجلال والراحة في كافة لوازم تسهيلاته، وسرعة سفريته على جانب أعتاب الحكومة العادلة في ذهابه وإيابه .... وقد تم وصول جمل المحمل ومن معه من المعيين بالسلامة".[xxii]

كُللت هذه المهمة بنجاح تام وذلك من خلال التسهيلات التي قدمتها الإدارة البريطانية لبعثة المحمل الشريف، ومن خلال رسالة الشكر التي بعثها السلطان علي دينار إلى سلاطين باشا نستنتج أن الإدارة البريطانية كانت تنتهج سياسة حسن النية مع السلطان علي دينار، وبناءاً على ذلك تشجع علي دينار في السنة القادمة لإرسال محمل جديد لبلاد الحجاز في عام 1904م، وزوده بصرة الحرمين الشريفين، إلا أن الصُرة قد نُهبت قبل أن تصل إلى مكة، الأمر الذي دفع سلاطين باشا إلى نصح السلطان على دينار بعدم ضرورة إرسال المحمل سنوياً تفادياً لمخاطر الطريق، وأشار عليه بأن يرسل المحمل مرة واحدة كل عامين أو ثلاث وذلك من خلال الخطاب التالي:

" جناب السلطان: إن الحكومة لن تدخر وسعا في منح المساعدة للمحمل الشريف وسوف لن تتأخر على هذا حرصاً منها على احترام الدين والشعائر الإسلامية، وأنا متأسف لعدم وصول هديتكم المرسلة إلى بيت الله الحرام، وطالما

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أن الطريق بعيد وفيه صعوبات فأرى أنه لا يوجد موجب لإرسال هذا المحمل كل سنة، بل كل سنتين أو ثلاثة، لأن الثواب ليس بكثرة التردد والمواصلة، بل بحسن النية".[xxiii] ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي توقف فيه ارسال المحمل الشريف إلى الكعبة المشرفة بسبب النهب والسلب، وقد نلاحظ توقف المحمل من خلال الرسالة التي بعثها السلطان علي دينار إلى سلاطين باشا والمؤرخ بتاريخ 1906م أي بعد عامين من تاريخ آخر رسالة كانت تخص ارسال المحمل بينهما في كتب علي دينار إلى سلاطين باشا بتاريخ 3 ديسمبر 1906م رسالة يوضح فيها أن المحمل الشريف قد توجه إلى الخرطوم تحت إمرة محمد الشيخ السيماوي الركابي، وفي صحبته ثلاثمائة حاج، وصُرة تحتوي على 100 ونصف قنطار سن فيل، و17 مربوع ريش نعام، و30 رطل ريش نعام أسود، و34 رطل ريش ربده، تباع في أم درمان إذا كانت الأسعار مجزية، وفي حالة العدم يتم عرضها في الحجاز، وعلماً بأن عائداتها ستة أزع حسب مصارفها المعلومة لدى أمير الحج".[xxiv]

كانت هذه من المرات القلائل التي توقف فيها ارسال المحمل إلى الكعبة المشرفة وكان ذلك بسبب حادثة السلب التي تعرض لها متاع الصُرة وبسبب قبول السلطان علي دينار اقتراح سلاطين باشا بأن يرسل المحمل كل سنتين أو ثلاثة واستجابة السلطان علي دينار لهذا المقترح ويظهر ذلك من خلال تواريخ المراسلات بين السلطان علي دينار وسلاطين باشا حيث نجد الفاصل بين أخر مراسلة بخصوص المحمل السابق ورسالة المحمل الجديد الذي ينوي السلطان ارساله عامين أو ثلاث مما يؤكد التزام السلطان علي دينار بوعده الذي قطعه لسلاطين باشا. فمنذ العام 1906م لم ترِد أي رسالة من السلطان علي دينار إلى الإدارة البريطانية بخصوص المحمل إلا بعد ثلاث سنوات في عام 1909م، حيث كتب علي دينار خطاباً إلى سلاطين باشا بتاريخ، 20 جمادي الآخر 1327هـ/ 8 يوليو 1909، يخبره بأنه يريد أن يرسل المحمل الشريف للحرمين الشريفين.[xxv] بعد ذلك استمرت رحلة المحمل خاضعة لهذا الاتفاق بين علي دينار وسلاطين باشا غير أن آخر محمل قد أرسله السلطان علي دينار إلى الكعبة المشرفة كان في 15 شوال 1331هـ/ 16 سبتمبر 1913م، أي بعد أربعة سنوات من تاريخ آخر محمل أرسله السلطان علي دينار إلى الكعبة، حيث تشير إلى ذلك تفاصيل الخطاب الأتي:

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

" نعرض لجنابك دولتكم أفندم أن محملنا لله ورسوله مضت لنا في إرساله عدة أعوام ولم أرسلناه ....، وفي هذا العام استصوبنا إرساله، وها هو قادماً للحرمين الشريفين بعون الله معية خدامنا محمد الشيخ سيماوي، والخدم المحافظين على المحمل الشريف، والحجاج الحاجين من الوطن، ومن حيث أنه من الواجب إعلام سعادتكم بما ذكر فلزم عرض هذا لجناب دولتكم وبه أرجو من الحكومة تعديهم على جناح السرعة لموافات الحج بالراحة حسب المعهود في عدالتها وتفيدون بما يتم في أمرهم بعد التوجه ونكون ممنون ومتشكر أفندم".[xxvi]

غير أن المصادر تشير إلى أن سلاطين باشا في هذه الأثناء كان في مصر، لكن حرصاً منه على احترام التواصل مع السلطان علي دينار أرسل برقية لمفتش مركز مدينة النهود يطلب منه إخطار السلطان علي دينار أن المحمل قد وصل سالماً إلى الخرطوم، ومنها في طريقه إلى الأراضي المقدسة.[xxvii] كان هذا آخر محمل أرسله السلطان علي دينار إلى الكعبة المشرفة ويعود السبب في ذلك إلى أن تداعيات الحرب العالمية الأولى قد بدأت تُلقي بظلالها على الوضع السياسي في السودان الذي كان تحت الإدارة البريطانية الاستعمارية والتي كانت ضلع رئيس في الحرب العالمية الأولى فزجت بكل مستعمراتها في هذا المعترك الذي ليس لهم من المشاركة فيه أي مصلحة، وعلى الطرق الآخر غير السلطان علي دينار من سياسته هو الآخر مع الإدارة البريطانية الاستعمارية بحيث بدأ علي دينار الدخول في معترك السياسة الدولية فأعلن توجهه صوب أرض الخلاف الإسلامية التي كانت تمثلها الدولة العثمانية لاعتبارات تحتمها عليه هويته الاسلامية فبدأ التنصل من الالتزامات التي كان يقوم بها لصالح الإدارة البريطانية.

لكن على الرغم من ذلك كان السلطان علي دينار كان يرسل اعتذاراً كل ما تأخر المحمل، ففي عام 1914م، أرسل اعتذارا إلى الشيخ عبد الحمدي من أولاد الشيخ مقدم المسجد النبوي عن تأخر إرسال المحمل والصُرة إلى الحرمين وأرجع السبب في ذلك إلى سوء الحالة الاقتصادية في دارفور.[xxviii]

تزامن ذلك مع بداية توتر العلاقات بين السلطان علي دينار وشريف مكة الحسين بن علي بسبب موقفه من الدولة العثمانية، ودعوة السلطان علي دينار للشريف بالانحياز إلى صف الجماعة المسلمة والدخول تحت راية الدولة العثمانية بدلاً من الانحياز إلى صف الحلفاء الصهاينة المسيحين. كانت دارفور تعيش ظروفاً صعبة في تلك الفترة

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفي هذه الأثناء يرسل ونجت باشا حاكم عام السودان خطاباً إلى السلطان علي دينار يحثه فيه على الوقوف إلى جانب الحلفاء ويقول:

" وليكن بعلمكم أن أخبار هذه الحرب الحقيقية تنشرها جريدة السودان، التي تظهر في الخرطوم، والتي على ما أظن تصلكم في دارفور، فإذا بلغكم من بعض الناس الجهلاء الذين لا يعرفون الحقائق أو المفسدين الذين يحبون نشر أخبار كاذبة لا تنطبق على ما تنشره الجريدة المذكورة فإني أوصيكم أن تأمروا موظفيكم بالقبض على هؤلاء الكاذبين، وتبقوهم عندكم تحت المراقبة أو ترسلوهم إلى الحكومة".[xxix]

على الرغم من التعامل الجيد الذي كان بين السلطان علي دينار والإدارة البريطانية واعترافها به كسلطان على دارفور إلا أن الشك كان سمة مميزة لهذه العلاقة بين الطرفين، وكان الحذر واجب في كل التعاملات التي دارت بينهما حتى في مسألة المحمل. وربما يعود السبب في توتر العلاقات بين دارفور والإدارة البريطانية ظنها أن السلطان علي دينار قد اتخذ من المحمل ذريعة لتوحيد صف المسلمين ضد الاستعمار، وبالفعل تأكد للإدارة البريطانية هذا الزعم فقد وقعت في يدهم خطابات من السلطان علي دينار إلى الأغوات وشريف مكة يحثهم فيها على توحيد جهودهم وانحيازهم إلى القوة التركية التي تمثل الإسلام، وبدأ اتصالاته بالخليفة العثماني في استانبول فكتب له: " أحاطت أيدي النصارى الكلاب الكفار بالمسلمين من يميننا وشمالنا ووراءنا وأمامنا، وجازوا ديار المسلمين كلها، ممالك البعض سلطانها مقتول، والبعض سلطانها مأسور، والبعض سلطانها مقهور، ما عدا دارفور قد حفظها الله من ظلمات الكفار. والداعي أنهم حالوا بيننا وبين الحرمين الشريفين اللذين حرسهم الله ومنحكم بخدمتهما. ولم نر حيلة نتوسل بها لأداء الذي فرضه الله علينا من حج بيته الحرام، وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وانجبرنا على مواصلة دولة الإنجليز، وسرنا نعاملهم تارة بالمشاحنة معهم، وتارة رغبة في حفظ إيماننا وإسلامنا في بلادنا.[xxx] ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة في العلاقات بين السلطان علي دينار والإدارة البريطانية فبدأت المخابرات البريطانية تفتيش محتوى المحمل الشريف، فأصدرت الأوامر لمفتش سواكن بتفتيش المحمل الشريف وذلك بناءاً على تعليمات الحاكم العام، الذي طلب تفتيش المحمل تفتيشاً دقيقاً وغير مُلفت لانتباههم وخداعهم بأن التفتيش جمركي فقط.[xxxi] فكانت المفاجأة المتوقعة أن عثر على خطاب من السلطان علي دينار ونداء يحث فيه المسلمين على الجهاد في سبيل الله بالدم والمال ويدعو فيه إلى تأييد السلطان التركي.[xxxii]

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هذا التقليد الذي اتبعته الإدارة البريطانية ضد المحمل صار أمراً ثابتاً حتى ضيقت الخناق على السلطان علي دينار حيث أنها كانت تتخوف بصورة واضحة من تطور العلاقات بين الدولة العثمانية ودارفور وما يترتب عليه من خلق سياسة معادية لسياسة الإدارة البريطانية في المنطقة. وبالفعل استغل العثمانيين حماس السلطان علي دينار وسعوا للاستفادة منه وتوظيفه في الطريق الصحيح فقد اهتمت الدولة العثمانية بأمر علي دينار حتى أن حكومة الحجاز كانت تولي عناية فائقة بوفد دارفور الذي يأتي بالمحمل الشريف إلى بلاد الحرمين وقد وجدت وثيقة في دار الوثائق التركية بالأرشيف العثماني تفيد اهتمام الدولة العثمانية بوفد السلطان علي دينار وإحسان استقباله بأفضل طريقة تليق باستقبال الملوك والتي كان نصها كالتالي:

" لقد قام الحكام الزنوج الموجودين في إفريقيا الوسطى بتجهيز المحمل منذ سنوات عديدة، وكذلك إرسال أعداد كبيرة من الحجاج. وفي هذه المرة قام حاكم دارفور حضرة علي دينار بتجهيز وترتيب محمل، حيث وصل هو وابن عمه مع مائة من الحجاج إلى سواكن، وسوف يحظون بالمعاونة اللازمة لدى وصولهم إلى جدة خلال بضعة أيام، وقد وردت برقية مشتركة من إمارة مكة المكرمة وولاية الحجاز الجليلتين تدور حول ذلك، وتم تقديمها وعرضها طياً، سيدي."

في 8 شوال سنة 321 (1321)

في 15 كانون الأول سنة 319 (1319)

الصدر الأعظم

"فريد".[xxxiii]

لم يتوقف التعامل بين دارفور والدولة العثمانية عند هذا الحد فقد حث العثمانيين السلطان علي دينار على ضرورة الجهاد ومحاربة البريطانيين في السودان ونلتمس ذلك من خلال الخطاب الذي أرسله وزير الحرب العثماني أنور باشا إلى السلطان علي دينار في 13 ربيع أول 1333هـ/ 3 فبراير 1915م، يحث فيه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بحمل السلاح ومساندة دولة الخلافة في مواجهة الحلفاء، ويبلغ السلطان علي دينار بأن الخليفة قد أعلن الجهاد المسلح، وأن المشيخة الإسلامية أفتت بأن الجهاد الآن فرض عين على كافة المسلمين.[xxxiv]

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هذا الخطاب شكل نقطة مهمة وحاسمة في تاريخ السلطان علي دينار وربما سلطنة دارفور بأكملها، إذ أنه شكل البداية الحقيقية للسلطان علي دينار ذلك أن الأخير تحمس لمبدأ الجهاد فكتب لأنور باشا يخبره أنهم منذ انتشار الحرب بين جلالة سلطان الإسلام وبين الألداء الكفار والفساق الإنجليز وفرنسا وما يليهم، فمن وقته قطعت ما كان بيني وبين الكفار الملاعين من العلائق الودية، وجاهرتهم بالعداوة، وأعلنتهم بالحرب واستعديت لهم بقدر ما يستطعني من القوة، غيرة في دين الله.[xxxv]

شهدت هذه الفترة نشاطاً مخابراتياً بريطانياً كثيفاً لمحاربة هذه الظاهرة لإدراكها بخطورة الموقف، فكثفت عملية تفتيش المحمل الشريف وقوافله، وفتحت الإدارة البريطانية التحقيق مع بعض أمراء المحمل ووضعهم رهن الاعتقال بل تم وصل الأمر حد السجن في بورتسودان.[xxxvi] ساءت الأوضاع بين السلطان علي دينار والإدارة البريطانية لدرجة أن الإنجليز عينوا جواسيس يراقبون أمراء المحمل فقد أرسل علي دينار خطاباً إلى السلطان محمد رشاد العثماني: " لقد اعتدنا على إرسال المحمل سنوياً إلى الحرمين الشريفين هدية لخدمة الحرمين، ولقد درجنا على النصح والتعليمات لرأس المحمل أن يقوم بالاتصال بكم في الحج ولكن الإنكليز درجوا على تعيين جواسيس يراقبون تحركات رأس المحمل ذهاباً وإياباً. ومنذ سنة 1318هـ اعتدنا على إرسال المحمل أو كل سنتين بعض الأحيان من غير انقطاع".[xxxvii] كانت علاقة السلطان علي دينار بالسلطان العثماني أمر مقلق للإدارة البريطانية التي سعت بكل قواها لإفشال هذه العلاقة التي تشكل تهديداً صريحاً لمصالح بريطانيا في السودان وهذا ما لن تسمح به الإدارة البريطانية، إذ أنها سرعان ما أعلنت الحرب على السلطان علي دينار الذي أعلن من جانبه الجهاد على حكومة السودان ، ودخل معهم في مواجهة عسكرية غير متكافئة الأطراف، كانت نتيجتها استشهاد السلطان علي دينار في 10 محرم 1335هـ/ 6 نوفمبر 1916م.[xxxviii] كان الدافع من وراء استشهاد السلطان علي دينار هو إيمانه العميق بقضيته التي مات من أجلها، فقد كان شغله الشغال خدمة بيت الله الحرام وفقراء المسلمين بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وتأتي قضية مناهضة الإدارة البريطانية في السودان في نفس المرتبة مع خدمة بيت الله الحرام وفعل كل ما بوسعه لأجل السودان إلى أن مات مقتولاً، السلطان علي دينار يستحق ذكره في أمهات الكتب التي تؤرخ وتوثق للأمة الإسلامية كمثال مشرف لحكام المسلمين.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة موضوع في غاية الأهمية، إلا أنه رغم أهميته هذه لم يسلط عليه الضوء ولم يجد حظه من التدوين من الباحثين، إذ استعرضت هذه الدراسة دور السلطان السوداني الشهيد علي دينار في خدمة الإسلام والمسلمين وذلك من واقع الكسوة التي كان يقدمها للكعبة المشرفة (المحمل) والتي اصطلح على وصفها بالمحمل وهو الإبل التي تحمل متاع بيت الله الحرام، والطرف الثاني من هذه الأعطية الكريمة هو الصُرة وهي كانت عبارة عن هدايا عينية لفقراء المسلمين بمكة المكرمة والمدينة المنورة حتى يدخل البهجة والسرور إلى قلوبهم، كما غطت الدراسة دور الإدارة البريطانية وموقفها من إرسال المحمل الشريف إلى بيت الله الحرام، تلك السياسية التي تأرجحت بين القبول في بداية الأمر والرفض في نهاية المطاف والتي أفضت في نهاية الأمر إلى مقتل السلطان الشهيد علي دينار في عام 1916م، طاوية بذلك صفحة كتبها الشهيد بحروف من ذهب في تاريخ السودان.

النتائج والتوصيات:

خلُصت الدراسة إلى بعض النتائج منها:

1- أنه بالفعل كانت هنالك صلات بين سلطنة دارفور وشبه الجزيرة العربية وكان طابعها إسلامي بحت،

2- كما خلُصت الدراسة إلى أن السلطان علي دينار كان من أكثر السلاطين المسلمين الذين واظبوا على كسوة الكعبة المشرفة وإرسال المحمل والصُرة إلى مكة والمدينة.

التوصيات:

1-تُوصي الدراسة بإلقاء المزيد من الضو على تاريخ سلطنة الفور بصفة عامة وبتاريخ السلطان الشهيد علي دينار بصفة خاصة.

2- كما تُوصي الدراسة بتكثيف البحث في تاريخ دارفور فهو غني بما فيه الكفاية لإثراء المكتبة العربية الإسلامية بتاريخ الإسلامي في إفريقيا وجهود المسلمين في نشر الدين الإسلامي في تلك المناطق النائية عن شبه الجزيرة العربية.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الهوامش:

[i]- عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والشخصيات السودانية، ج3، دارفور قراف للطباعة والنشر، الخرطوم، 1208-1209.
[ii]- R.S. Ofahey, State and society in Dar Fur, London:C. Hurst,1980,p.6.
[iii]- J.E.H. Boustead, The youth and last day of Ali Dinar, S.N.R,Vol,22,1935,pp.149-150.
[iv] - أحمد أبو شوك، السودان السلطة والتراث، ج2، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان ط1، 2009، ص،48.
[v] - يوسف جاغلار وأخرون، المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، ترجمة حازم سعيد منتصر، أحمد كمال، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2015م، ص، 9-10.
[vi] - نفس المرجع، ص، 27.
[vii] - نفسه، ص، 27.
[viii] - إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية، ج2، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة،1925، ص، 32.
[ix] - نفس المرجع، ص، 32.
[x] - نعوم شُقير، تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل بيروت، 1981م، ص، 183.
[xi]- Khartoum university press, ، Umer Al- Nagar, '' The pilgrimage Translation in west Africa''- 1972,34.
[xii] - العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج1، طبعة دار الكتب، 1924، ص، 93.
[xiii] - نفس المرجع، ص، 100.
[xiv] - دار الوثائق المصرية، د /1/3/104.
[xv] - دار الوثائق القومية مصر، ج/1/3/104.
[xvi] - أنعم محمد عثمان الكباشي، المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وفقا للوثائق العثمانية مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة،1436هـ، ص،45.
[xvii]- A.B. Theobuld, Ali Dinar, Last Sultan of Dar fur 1898-1916, Longman, London,1965, pp.42-43.
[xviii]- Ibid, p.43.
[xix] - نعوم شُقير، مرجع سابق، ص، 193.
[xx] - S.N.A,INTELL,2/3/12 على دينار إلى شريف مكة في 1321هـ/1902م -
[xxi] - S.N.A. INTELL, /1/5.7 ، 6 رجب 1321هـ/1903م، دار الوثائق القومية الخرطوم، مخابرات علي دينار إلى سلاطين باشا
[xxii]- S.N.A. INTELL, /1/5.7 27 جمادي الآخر 1321هـ/ 7 ديسمبر 1904م، دار الوثائق القومية الخرطوم على دينار إلى سلاطين باشا
[xxiii]- S.N.A. INTELL, /24/53/7.، 26جمادي الآخر 1322هـ/7سبتمبر1904م، دار الوثائق القومية الخرطوم سلاطين باش إلى علي دينار
[xxiv]- S.N.A. INTELL, /7/1/8/176.، 16 شوال1324هـ/3ديسمبر1906م، دار الوثائق القومية الخرطوم على دينار إلى سلاطين باشا
[xxv]- S.N.A. INTELL, /2/4/15.، 20 جمادي الآخر1327ه/8يوليو1909م، دار الوثائق القومية الخرطوم علي دينار إلى سلاطين باشا
[xxvi]- S.N.A. INTELL, /834/15/2/7.، 15شوال1331ه/16سبتمبر1913م، دار الوثائق القومية الخرطوم علي دينار إلى سلاطين باشا

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2022
العدد الثالث: ص.ص 291-307 ISSN: XXXXXXX Issue: N3
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

[xxvii] - مكي شبيكة، السودان عبر قرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966م، ص،423.
[xxviii] -S.N.A. INTELL, 7.، 211 محرم 1333ه/1914/11/25م، دار الوثائق القومية الخرطوم على دينار إلى الشيخ عبد الحمدي

[xxix] -A.B. Theobald, Ali Dinar; Last Sultan of Darfur,1898-1916,London,Longman,1965,p.42-43.
[xxx] - مكي شبيكة، المرجع السابق، ص، 425-426.
[xxxi] -S.N.A. INTELL, 13/3/2.، دار الوثائق القومية الخرطوم نائب مدير المخابرات إلى مفتش سواكن 1915/5/26م/16/شعبان/1333ه/
[xxxii] -S.N.A. INTELL, 13/3/2.، دار الوثائق القومية الخرطوم مفتش سواكن إلى نائب مدير المخابرات 1915/5/30م/16/شعبان/1333ه/
[xxxiii] - دار الوثائق التركية (الوثائق العثمانية)،Y.A.HUS 463/40 - هو-الباب العالي دائرة الصدارة-أمدي ديوان همايون-3319.

[xxxiv] - مكي شبيكة، المرجع السابق، ص،426.
[xxxv] - نفس المرجع، ص،426.
[xxxvi] -S.N.A. INTELL, 13/3/2.، دار الوثائق القومية الخرطوم نائب مدير المخابرات إلى السكرتيرالخاص1915/12/20م/8/ربيع الاول/1334ه
[xxxvii] -D.S.A.BOX128LS. ، 8جمادي 1335ه/1916/4/1م، م على دينار إلى السلطان العثمان محمد رشاد
[xxxviii] -A.B. Theobald,op.cit,p.201.